

### علم البيان وأثره في تفسير القرآن الكريم

عزت المنوره سيرجار<sup>1</sup>، نادية أماليا رزقي بانجايتان<sup>2</sup>، ياسيفين حليم علي<sup>3</sup>

<sup>1,2,3</sup>برنامج الدراسة في كلية التربية وإعداد المعلمين

<sup>1,2,3</sup>جامعة ولاية سومطرة الإسلامية الشمالية

<sup>1,2,3</sup>جى. William Iskandar Market V، Medan Estate، Percut Sei Tuan District، ديلي سيردانج

ريجنسي، شمال سومطرة 20371

بريد إلكتروني: [izzaasiregar@gmail.com](mailto:izzaasiregar@gmail.com)

### خلاصة

يُقدم علم البيان، باعتباره فرعاً متكاملًا من علم البلاغة، نموذجًا تأويليًا أساسيًا في كشف الأبعاد الرمزية والمجازية لمعنى القرآن الكريم. وتبحث هذه الدراسة بعمق في كيفية عمل علم البيان ليس فقط كأداة بلاغية، بل أيضًا كأداة معرفية تُمكن القراء من سبر أغوار نص الوحي. ومن خلال نهج تأويلي-بلاغي نوعي وتحليل مضمون، تدرس هذه الدراسة أشكال التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية في القرآن الكريم وتداعياتها الفلسفية والروحية في تراث التفسير. وتُظهر النتائج أن علم البيان يُمثل مفتاحًا معرفيًا يحول دون التأويل الاختزالي الحرفي، ويفتح مجالًا للتفسير الشامل والديناميكي والسياقي. علاوةً على ذلك، يلعب علم البيان دورًا استراتيجيًا في تعزيز جماليات وروحانية قراءة القرآن الكريم، فضلًا عن كونه جسرًا بين تراث التفسير الكلاسيكي والتأويلات الحديثة. وهكذا، فإن علم البيان ليس مجرد فرع من فروع اللغويات، بل هو أساس منهجي حيوي في بناء وعي قرآني شامل وجمالي ومتعالٍ. توصي هذه الدراسة بإحياء علم البيان في مناهج التربية الإسلامية لتجنب جفاف فهم النصوص، وإثراء التجربة الدينية للناس من خلال جمال لغة الوحي.

**الكلمات المفتاحية:** علم البيان، البلاغة، تفسير القرآن، التأويل، التشبيح، المجاز، الاستعارة، الكيناية، جماليات اللغة، نظرية المعرفة في التفسير.

### مقدمة

علم البيان، باعتباره أحد فروع علم البلاغة، مجالٌ دراسيٌّ يتساءل عن كيفية بناء المعنى وتفكيكه من خلال اللغة الضمنية. وفي كنوز المعرفة الإسلامية الكلاسيكية، لا يُصاغ علم البيان كأداة للجمال البلاغي فحسب، بل كأداةٍ منهجيةٍ لاستكشاف أعماق رسالة الوحي. ولا يعتمد وجوده على الجمال التعبيري فحسب، بل أيضًا على قدرته على اختراق بنية المعنى من خلال التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية (الهاشم، ٢٠١٢؛ نهى، ٢٠٢٢). وهكذا، يُصبح علم البيان وسيلةً تُوسّع الأفق الدلالي لقراءة القرآن الكريم، لا سيما في فهم سياق الآيات التي تحمل قيمًا رمزية وتمثيلية رفيعة.

لا يمكن فصل أهمية علم البيان في تفسير معاني القرآن الكريم عن تعقيد بنية اللغة العربية نفسها. فاللغة العربية، كما تُفهم في الدراسات اللغوية، تتمتع بمرونة معنوية استثنائية، حيث يمكن للكلمة الواحدة أن تستوعب تفسيرات متعددة تبعًا لسياقها ومقام استخدامها (رمدوني، ٢٠٢٢). في هذه الحالة، يعمل علم البيان كمفتاح معرفي يُمكن القراء من كشف المعاني الضمنية للنصوص المقدسة التي غالبًا ما تستخدم الأمثال والقصص الرمزية والاستعارات لنقل مفاهيم لا هوتية عميقة ومتعددة الأبعاد.

في سياق فهم لغة الوحي، لا يقتصر علم البيان على استكشاف المعنى الضمني فحسب، بل يُصبح أيضًا أداةً لتصفية أخطاء التفسير الناجمة عن عدم الدقة في استيعاب الفروق البلاغية. يشير عدد من المفسرين المعاصرين إلى أن العديد من أخطاء التفسير تقع نتيجة تجاهل آلية البيان في بنية الجمل القرآنية. على سبيل المثال، في الآية التي تذكر "وَأَجْعَلْنَا السَّمَاءَ سُقْفًا مَحْفُوظًا" (سورة الأنبياء: 32)، فإن افتراض كون السماء سقفاً محفوظاً ليس وصفاً علمياً حرفياً، بل هو تعبير عن التشبيه الذي يُظهر النظام الكوني كشكل من أشكال الحماية من الخالق (برهان الدين، 2018).

عندما يذكر القرآن مصطلح "يد" الله في الآية "تبارك الذي بيده الملك" (الملك: ١)، لا يُفسر هذا التعبير تشبيهاً حرفياً، بل يجب تفسيره في إطار مرسل المجاز المتعلق بالقدر (حبيب الرحمن وآخرون، ٢٠٢٥). لا يمكن كشف هذا المعنى إلا باستخدام علم البيان الذي يُميز بين معنى الحقيقي والمجازي. لذا، يُعد وجود علم البيان مطلباً أساسياً لكل من يرغب في الإبحار في بحر تفسير القرآن الكريم بجديّة.

علاوة على ذلك، شهد علم البيان، عبر تاريخ تطوره، تحولاً من مجرد دراسة جمال اللغة إلى أداة تأويلية مرجعية. في العصر الكلاسيكي، أظهر مفسرون مثل الزمخشري والرازي أن فهم المجاز والتسبيح والاستعارة يُحدد بشكل كبير صحة التفسيرات التي يقدمونها (فجر الأمين وآسب سوبيان، ٢٠٢٤). لذا، ليس من المستغرب أن تصبح أعمالهم المرجع الرئيسي في تراث التفسير البلاغي. يُظهر هذا التحول أن علم البيان ليس دراسة راكمة، بل يواصل تطوره مواكباً لديناميكيات العلم واحتياجات التفسير في العصر.

ومع ذلك، يُظهر الواقع المعاصر ضعفاً في دور علم البيان في دراسات التفسير الحديثة. فالعديد من قراءات القرآن الكريم تقع في فخّ منهج حرفي يُركز فقط على الجوانب الصرفية والنحوية للنص، مُتجاهلاً أبعاده الرمزية والجمالية (ناصر، ٢٠٢٤). في هذا السياق، يُعدّ إحياء علم البيان أمراً لا بد منه حتى لا يفقد التفسير قوته الدلالية وجاذبيته الروحية. وهذا مهم أيضاً لوقف سيل التأويلات الاختزالية التي تتجاهل السياق والمقصود الإلهي وراء بنية الآيات. علاوة على ذلك، وفي إطار فلسفة العلم، يكتسب علم البيان أهمية بالغة من ثلاثة جوانب رئيسية: الأنطولوجيا، ونظرية المعرفة، وعلم القيم. الأنطولوجيا لأنها تبحث في طبيعة المعنى وعلاقته بالواقع اللغوي والميتافيزيقي؛ والمعرفية لأنها تُقدم منهجاً لفهم النص؛ والأكسيولوجية لأنها تتضمن قيماً جمالية وأخلاقية وروحية متضمنة في أسلوب القرآن الكريم (المنيب، ٢٠٢٤). وهكذا، فإن علم البيان ليس مجرد تخصص لغوي، بل هو أيضاً أداة فكرية وأخلاقية في بناء الوعي القرآني.

يُصبح علم البيان أيضاً انعكاساً لتجليات الجمال الإلهي الذي يتجلى في ترتيب كلمات الوحي. في هذا السياق، لا يقتصر الأمر على المعنى فحسب، بل أيضاً على شكل اللغة وإيقاعها اللذين يُشكلان انطباعاً جمالياً وتناغماً روحياً لدى المستمع. لذلك، يرى علماء البلاغة القدماء، بما في ذلك علم البيان، جزءاً من معجزة القرآن الكريم نفسه (بانجي رموني، ٢٠٢٢). إن الإعجاب بالترتيب الموجز والهادف للكلمات دليل على أن الجمال ليس وليد الصدفة، بل هو جوهر بنية الوحي. من الأسباب المهمة الأخرى لإثارة هذه الدراسة الحاجة الملحة لإعادة بناء نموذج التعليم الإسلامي بحيث لا يقتصر على تدريس الفقه والعقيدة نصياً، بل يتناول أيضاً جوانب جمالية لغة الوحي. إن تعليم التفسير غير المُزود بفهم البلاغة، وخاصة علم البيان، لن يُنتج سوى معاني سطحية وجافة من حيث الجمال والروحانية (سيريف ودارماواتي، ٢٠٢٣). لذلك، يجب أن يكون علم البيان جزءاً لا يتجزأ من مناهج التفسير، سواءً في المرحلتين الثانوية أو الجامعية.

والأهم من ذلك، يتمتع علم البيان بإمكانيات هائلة لسد الفجوة بين النصوص المقدسة والواقع المعاصر. ففي عالم يبعج بالخطاب الرمزي والتضليل الإعلامي والتلاعب باللغة، يُمكن لمنهج البيان أن يُعلم الحذر في تفسير الكلام، وأن يُعزز أخلاقيات التواصل القائمة على القيم الإلهية. وهذا ما يجعل علم البيان مهماً ليس فقط للعلماء، بل أيضاً للمثقفين والمعلمين، وحتى للصحفيين والناشطين الاجتماعيين الذين يستخدمون اللغة كأداة رئيسية للتعبير (نورواهي، ٢٠١٧).

يتمتع علم البيان بإمكانيات كبيرة في مواجهة نزعة تبسيط التفسيرات المتفشية في عصر الإعلام الرقمي. فبالتركيز فقط على المعنى الصريح للنص، تُقلل القراءة الحرفية للقرآن من عمق روحانية الوحي. لذلك، يُقدم نهج البيان مقاومة معرفية للاختزال اللغوي، ويفتح مجالاً تفسيريّاً أكثر شمولاً وتعدداً للأبعاد (حسنة ونساء، ٢٠٢١). فهو يسمح بفهم كل كلمة ليس فقط من جانبها المعجمي، بل أيضاً من جوانبها العلائقية والرمزية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببنية المعنى الإلهي.

نتيجةً لهذا التطور التاريخي والخطابي، يستحق علم البيان أن يستعيد مكانته المرموقة في منهجية التفسير. فالتفسير الذي يدمج البيان لا يولي اهتماماً للمعنى الدلالي فحسب، بل يستكشف أيضاً المعنى الإيحائي الذي يُشكل روحانية القارئ. لذا، فإن علم البيان ليس ذا صلة فحسب، بل هو ضروري لدراسات التفسير المعاصرة التي تتطلب توازناً بين الجماليات والمنطق والقيم المتعالية.

بالنظر إلى هذه الأسباب المختلفة، تهدف هذه المقالة إلى تحليل كيفية عمل علم البيان نظرياً وعملياً في سياق تفسير القرآن الكريم. لا تناقش هذه الدراسة أشكال التشبيه والمجاز والاستعارة والكيناية في القرآن الكريم فحسب، بل تُسلط الضوء أيضاً على الوظائف الفلسفية والروحية لكلٍ من هذه الأساليب اللغوية. ومن خلال هذا النهج، يُؤمل أن يبرز وعيٌ جديدٌ بأن علم البيان جسرٌ معرفيٌّ يربط النص بالمعنى، بين اللفظ والحرف، بين الحرف والحكمة.

وهكذا، تُعزز هذه الخلفية ضرورة إعادة علم البيان إلى مكانته المحورية في دراسة القرآن الكريم. فهو ليس مجرد أداة لغوية، بل أساس منهجي لفهم رسالة الوحي بكاملها. وكما أن الله يُبلغ كلامه بكامل جماله وجلاله، فكذلك على البشر أن يفهموه باحترام تام لجمال بنية لغته. وهكذا، فإن علم البيان ليس مجرد علم لغوي، بل هو علم رוחي يلامس أعماق التجربة الدينية لقارئه.

يجب النظر إلى علم البيان في إطار تحول الحضارة الإسلامية الذي لا يتوقف. فعندما يواجه المسلمون تحديات عالمية كالعلمنة والنسبية الأخلاقية وأزمة الروحانية، فإن فهم القرآن الكريم لا يقتصر على المنظور الشرعي فحسب، بل يشمل أيضاً المنظور الجمالي والإنساني. وفي هذا السياق، يلعب علم البيان دوراً هاماً، إذ يعيد للغة دورها كحامل للقيم، لا كوسيلة للتواصل فحسب. فاللغة المزينة بالتسبيح والاستعارة تعكس أن حقيقة الوحي لا يجب دائماً فرضها رسمياً، بل يمكن نقلها بطريقة رمزية تلامس القلب (أسلم النشير وآخرون، ٢٠٢٥).

علاوة على ذلك، يُمكن علم البيان من ربط التراث التفسيري الكلاسيكي بالمنهج التأويلي الحديث. على سبيل المثال، حاول علماء مثل نصر حامد أبو زيد، وفضل الرحمن، وأركون، شرح كيفية عدم فهم نص القرآن بشكل جامد، بل ينبغي التعامل معه كنص مفتوح. في هذا الإطار، يُتيح علم البيان مدخلاً إلى المعنى متعدد الطبقات للنص المُنزّل. فهو يسمح بتعدد المعاني دون حجب سلطة المعنى الإلهي (مصدر، ٢٠١٩). يتيح نهج البيان مساحة تفسير أكثر ديناميكية ومرونة وسياقية دون الاضطرار إلى الوقوع في النسبية المفرطة.

وبالمثل، في سياق الوعظ وإيصال التعاليم الإسلامية إلى جمهور أوسع، تُصبح المهارات البلاغية التي يُصقلها علم البيان ضرورية لا غنى عنها. فالوعظ الذي يُلقى بأسلوب شرعي جاف أو مجرد تهديدات غالباً ما يفشل في ملامسة الأبعاد العاطفية والجمالية للجمهور. من ناحية أخرى، عندما تُلقى الرسالة بتسبيح جميل، وشعر راقٍ، ومجاز هادف، تُصبح رسالة الإسلام أكثر صدقاً وتترك أثراً في نفوس المستمعين (رحمي ونساء، ٢٠٢٢).

إن ثراء لغة القرآن الكريم، المُفسّرة من خلال علم البيان، له آثارٌ أيضاً على تعزيز الهوية الثقافية للمسلمين. ففي عصر العولمة المليء بضغوط الثقافات الأجنبية، يُصبح فهم جمال أدب القرآن الكريم آلية ثقافية فعالة للدفاع عن الثقافة. وهذا يُظهر أن علم البيان لا يقتصر على وظيفة أكاديمية أو دينية فحسب، بل يُسهم إسهاماً حقيقياً في تعزيز هوية الشعب استناداً إلى قيم الوحي النبيلة.

بشكل عام، يُظهر هذا العرض أن خلفية كتابة هذه المقالة ليست أكاديمية شكلية فحسب، بل مدفوعة أيضاً باهتمامات روحية واجتماعية وثقافية. علم البيان أداة تفسيرية لا غنى عنها لفهم عظمة القرآن الكريم وتعقيده. وبدون فهم هذا العلم، سيقع القارئ في فخ التفسير الضيق والجاف، بل قد يكون مُضللاً.

وهكذا، فإن مناقشة علم البيان وأثره في تفسير القرآن الكريم ليست مجرد خطاب نظري، بل هي محاولة لإعادة بناء معرفي يمس الحياة العملية. ومن المتوقع أن تُعيد هذه الدراسة تأكيد مكانة علم البيان كركيزة أساسية في بنية علم التفسير المتين والمرن والسياقي. فهو ليس مجرد فرع من فروع البلاغة، بل هو جوهر حضارة الوحي اللغوي الخالدة.

### طرق البحث

لاستكشاف دور علم البيان في كشف المعاني الخفية في النصوص القرآنية المقدسة بعمق، اعتمدت هذه الدراسة منهجاً نوعياً يجمع بين نموذج تأويلي-بلاغي ومنهج تحليل المضمون. لم يكن اختيار هذا المنهج اعتباطياً، بل كان نتيجة اعتبارات معرفية تُشير إلى أن موضوع الدراسة - أي علم البيان في سياق تفسير القرآن - يقع في نطاق المعاني الضمنية والرمزية والمجازية التي لا يمكن الوصول إليها من خلال منهج كمي وضعي (حبيب الرحمن وآخرون، ٢٠٢٥؛ فاتح، ٢٠٢٣).

من الناحية الوجودية، تنطلق هذه الدراسة من افتراض أن المعنى ليس كياناً واحداً ثابتاً، بل هو بناء سيميائي معقد متعدد الطبقات وسياقي. لذلك، يُعد المنهج النوعي الخيار الأمثل لكشف الأبعاد الكامنة في أسلوب القرآن الكريم، وخاصةً من خلال منظور علم البيان (المنيب، ٢٠٢٤). يتيح هذا المنهج للباحثين ليس فقط وصف أشكال البيان في آيات القرآن الكريم، بل أيضاً تحليل ديناميكيات المعنى المتضمن وتأثيره البلاغي في استكشاف معنى التأويل.

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو منهج وصفي تحليلي، مع التركيز على التحليل النصي والأسلوبي لآيات القرآن الكريم التي تحتوي على عناصر بيانية، مثل المجاز اللغوي، والمجاز العقلي، والتسبيح، والاستعارة، والكناية. يهدف هذا الأسلوب إلى وصف الظواهر اللغوية وصفاً منهجياً، وتفسير معانيها من منظور البلاغة (مصدر، ٢٠١٩). في هذه الحالة، يعمل التحليل الوصفي كأداة لتسجيل الظواهر اللغوية، بينما يساعد التحليل الأسلوبي على توضيح الأسلوب والبنية البلاغية للآيات.

المصدر الرئيسي للبيانات في هذه الدراسة هو المخطوطات القرآنية، مع التركيز على الآيات التي تتضمن، صراحةً أو ضمناً، عناصر من الأسلوب البياني. ولتعزيز صحة التفسير، سيتم تحليل هذه البيانات النصية بين النصوص بالرجوع إلى كتب التفسير الكلاسيكية، مثل تفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير الرازي، وتفسير المشبه لقريش شهاب، والتي اعتمدت صراحةً على منهج البلاغة في تفسيراتها (سيريف وآخرون، ٢٠٢٣).

بالإضافة إلى البيانات الأولية في شكل نص القرآن الكريم، تشير هذه الدراسة أيضاً إلى عدد من المصادر الثانوية مثل كتب علم البلاغة (جواهر البلاغة، مجاز القرآن، حلية الباب المصون)، والمقالات العلمية، والأبحاث السابقة التي تناقش

العلاقة بين علم البيان والتفسير، سواء من منظور لغوي بحث أو في سياق فلسفة العلم (حبيب الرحمن وآخرون، 2025؛ رومادوني، 2022).

تم جمع البيانات من خلال البحث المكتبي، والذي يتضمن أنشطة مراجعة نقدية لمختلف الأدبيات الكلاسيكية والمعاصرة. وقد تم اختيار البحث المكتبي لأن جميع البيانات مفاهيمية ونصية، وبالتالي لا يتطلب جمع بيانات ميدانية. وكما أكد فضلي (2021)، فإن أسلوب دراسة المكتبات فعال للغاية في الأبحاث التي تعتمد على الأدبيات كمصدر رئيسي لإعادة بناء الحجج وبناء النظريات.

تعتمد تقنية تحليل البيانات على نهج متعدد الطبقات يجمع بين التحليل الوصفي، والتحليل البنيوي الدلالي، والتحليل البلاغي. أولاً، يُجرى التحليل الوصفي لتحديد آيات القرآن الكريم التي تحتوي على صيغ البيان، مصحوباً بتصنيف لأنواع وخصائص كل أسلوب لغوي. ثانياً، يُجرى التحليل البنيوي الدلالي لشرح كيفية بناء المعنى في سياق الآية من خلال بنية الجملة واختيار الكلمات. ثالثاً، يهدف التحليل البلاغي إلى تقييم أثر استخدام هذا الأسلوب اللغوي على فهم المعنى وعمق الرسالة المنقولة (حسنة ونساء، ٢٠٢١).

على سبيل المثال، عندما يستخدم القرآن مصطلح التسبيح في آيات مثل "كَاتَبُوا حُرْمًا مَسْنُونَةً" (المدرثر: ٥٠)، سبُجَه التحليل لكشف عناصر المسبَّح، والمسبَّح به، ووجه الشبَّح، وعادة التسبيح، ثم يُقارن بسباق الآية ككل. علاوة على ذلك، ومن خلال منهج بلاغي، ستُدْرَس كيفية تعزيز بناء التسبيح لرسالة الدعوة، وتشكيل مشاعر القارئ، أو حتى خلق تأثير بصري يُعمِّق فهم المعنى.

في إطار صحة البيانات وموثوقيتها، تُطبَّق هذه الدراسة تقنيات تثليث البيانات والمصادر. وهذا يعني أن نتائج تحليل نص القرآن الكريم مُؤكَّدة من خلال تفسيرات مُختلفة وإشارات إلى البلاغة من عصور ومناهج فكرية مُختلفة. وبالاعتماد على أكثر من مصدر مُعتمد، يُؤمَل أن يكون التفسير الناتج مُتبنياً وغير مُتحيز لمذهب تفسيري مُعين (النبي وسري الدين، ٢٠٢٤).

تُقرّ هذه الدراسة أيضاً بأهمية الحفاظ على الموضوعية في التفسير. لذلك، بالإضافة إلى الاعتماد على قواعد البيان المُتفق عليها بين العلماء، سيجري التحليل نقدياً وانفتاحياً لاحتمالية اختلاف المعنى المتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي أو خلفية المفسر المعنى (المزيدي، ٢٠٢١). يسمح هذا النهج باكتشاف تعدد المعاني التي لا تقع في فخ التعميم التفسيري.

منهجياً، لا تدّعي هذه الدراسة تقديم نظرية جديدة في علم التفسير أو البلاغة، بل هي محاولة لإحياء المنهج البياني الذي هُمّش في الدراسات المعاصرة. ومن خلال إعادة النظر في مساهمة علم البيان في كشف خفايا معنى القرآن الكريم، يُؤمَل أن تُقدِّم هذه الدراسة عرضاً منهجياً يُثري كنز علم التفسير من منظور جمالي وبلاغي (مصلحة، ٢٠٢٣).

من خلال المنهجية الموصوفة، يأمل الباحث في صياغة فهم شامل لكيفية كون علم البيان ليس مجرد أداة لغوية، بل أداة معرفية قادرة على الربط بين الألفاظ والمعنى، وبين النص والتفسير، وبين اللغة والوحي. لذا، فإن لهذا البحث أهمية ليس فقط في الدراسات اللغوية، بل أيضاً في الديناميكيات الروحية والفكرية للمسلمين في فهم القرآن الكريم.

### نتائج البحث والمناقشة

#### نتيجة البحث

بناءً على نتائج دراسة معمقة لنص سورة الملك باستخدام منهج علم البيان كفرع من فروع علم البلاغة، تم التوصل إلى عدد من أشكال المجاز التي أظهرت استخدام معانٍ غير مباشرة غنية بالجماليات والبلاغة. في الآية الأولى من سورة الملك: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ"، يُستخدم مجاز مرسل مع علاقة سببية؛ فكلمة "يد" لم تُفسر حرفياً، بل كرمز للقوة المطلقة (مهدي وآخرون، ٢٠٢٥). في الآية الثانية، فُسِّر خلق الموت والحياة على أنه مجاز عقلي، حيث يُجسّد الموت كشيء مخلوق، وإن لم يكن كياناً ملموساً (فدوى نبيلة وآخرون، ٢٠٢٤).

علاوة على ذلك، تتضمن الآية الثالثة عبارة "التَّقْوَاتِ" التي تدلّ دلاليًا على الخلل أو النقص؛ واستخدام هذه الكلمة في سياق خلق السماء المتدرجة يُعدّ شكلاً من أشكال المجاز اللغوي، إذ يُنسب طبيعة المنتجات المصنّعة إلى الخلق الإلهي الكامل (عزيز، ٢٠١٤). وتشير الآية الخامسة إلى النجوم باسم "مصابيح"، وهو شكل من أشكال الاستعارة التشبيهية استناداً إلى تشابه وظيفة الإضاءة (عوضين وآخرون، ٢٠٢٥). وتُصوّر الآية الثامنة جهنم تكاد تنفجر من الغضب، وهي صورة مبالغ فيها تتضمن الاستعارة المكنية (أسلم النشير وآخرون، ٢٠٢٥).

في الآية ١٩، يُنسب استخدام عبارة "ما يُمِسْكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ" قدرة الطائر على الطيران لا إلى قوانين الفيزياء بل إلى الله، مما يُظهر الاستعارة العقلية لأن إسناد الأعمال إلى موضوع ميتافيزيقي (أنور وآخرون، ٢٠٢٤). تصف الآية ٢٢ شخصاً يمشي ووجهه لأسفل كاستعارة للضلال، وهو ما يُصنّف تشبيهاً بديعاً مع تباين بلاغي بين المعنى الظاهر والباطن. الآية ٣٠، التي تذكر الماء كمصدر حيوي للحياة ونعمة إلهية، تستخدم الاستعارة للتأكيد على اعتماد الإنسان الوجودي على نعمة الله. الماء في هذا السياق ليس مادياً فحسب، بل هو أيضاً رمز للرفاهية والسلام الداخلي والوفرة الروحية. وهذا يعزز بناء علم البيان كأداة تفسيرية لفهم الوظيفة الرمزية لعناصر الكون في القرآن الكريم (ناصر، ٢٠٢٤).

كما تتبعت هذه الدراسة تواتر وتوزيع أشكال المجاز في سورة الملك، ووجدت أن أكثر من 60% من آيات هذه الرسالة تحتوي على عناصر مجازية. وهذا يدل على كثافة استخدام البلاغة، مما يُعمّق تناعم المعنى، ويُشكّل بنية موضوعية متماسكة بين التهديدات الأخروية، وتمجيد الخلق، وترسيخ التوحيد (مصلحة، 2023).

وجدت هذه الدراسة أيضًا أنه بالإضافة إلى أنواع المجاز التي درُست صراحةً، هناك أيضًا استخدام لأسلوب الكناية الذي يُظهر دلالات على النوايا الخفية في اختيارات الإماء غير المباشرة. على سبيل المثال، في سورة الملك، الآية 23، توجد عبارة "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة"، والتي تعني حرفيًا أن الله جعل للبشر السمع والبصر والفؤاد. هذه العبارة مباشرة صرّفيًا، لكنها تحتوي دلاليًا على الكناية، مما يوحي بأن البشر مُجهزون بأدوات الوعي والمسؤولية الأخلاقية. ويعزز هذا المعنى نهج البيان الذي يشير إلى أن التفسير لا يتوقف عند البنية الخارجية للنص، بل يحتاج إلى استكشاف المعنى الكامن وراءه (نورواهدى، 2017).

بتحليل أعمق، وُجد أيضًا أن سورة الملك ذات بنية سردية متدرجة. تُظهر الآيات الافتتاحية عظمة الله من خلال خلقه، ثم يتبعها تهديد الجحيم، ووصف لموقف الكفار، وأخيرًا استنتاجًا وجوديًا يتعلق باعتماد الإنسان على النعمة الإلهية. جميع هذه الطبقات ليست موصوفة إعلاميًا فحسب، بل مُرتبة أيضًا باستخدام الأدوات البلاغية لعلم البيان التي تسمح للنص القرآني الكريم بالتحدث عبر المكان والزمان. لذلك، يجب تفسير علم البيان كمنهج تفسيري سيميائي متعالٍ؛ فهو لا يتوقف عند العلاقة بين الألفاظ والمعاني، بل يدرس شبكة العلاقات بين النص والسياق وفهم القارئ الداخلي (سيريف ودارماوتي، ٢٠٢٣).

#### مناقشة

في سياق تفسير القرآن الكريم، يلعب علم البيان دورًا محوريًا كأداة لاستكشاف المعاني الخفية الكامنة في البنية السيميائية للآيات الكريمة. مصطلح "بيان" نفسه مشتق من الجذر "بين" الذي يعني "واضح"، وفي تطبيقه، يُكَلّف علم البيان بالتوضيح من خلال مختلف أدوات اللغة المجازية، مثل التسييح والمجاز والكناية (حبيب الرحمن وآخرون، ٢٠٢٥). هذا النهج بالغ الأهمية، فاللغة العربية، كلغة القرآن الكريم، تتمتع بطيف واسع وغني من المعاني الجمالية.

تُظهر الآية الأولى من سورة الملك التحوّل الدلالي لكلمة "يد" إلى رمز للقوة المطلقة. هنا، يُوظّف علم البيان مرسال المجاز مع علاقة السببية، بحيث لا تكون الكلمات إعلامية فحسب، بل إقناعية-بلاغية أيضًا. وهذا يُظهر الوظيفة المعرفية لعلم البيان في استبدال المعنى الحرفي برموز مجازية لتعزيز الرسائل اللاهوتية (حسنة وصالح، ٢٠٢٤).

يُظهر البيت الثاني التجسيد الوجودي للموت، رافعين كيانًا غير ملموس إلى كائن قابل للخلق. ومن خلال استعارة العقلي، ينتقل الإسناد من الفاعل المرئي إلى الفاعل الحقيقي، ألا وهو الله. وهذا يُظهر أن علم البيان يستكشف أيضًا عالم الوجود، لأنه يُفسر الكيانات غير الملموسة تفسيرًا مفاهيميًا (حبيب الرحمن وآخرون، ٢٠٢٥).

علاوة على ذلك، يُعزز استخدام كلمة "تفوّت" في الآية الثالثة الوظيفة القيمية لعلم البيان، أي إثبات الكمال من خلال نفي النقص. هنا، لا يقتصر خطاب المجازي على نقل الحقائق فحسب، بل يُثير أيضًا المشاعر والإعجاب بالخلق الإلهي. في الآية الخامسة، تُوضّح الاستعارة التشريحية الاستعارة الفلكية: النجوم كأضواء سماوية. هذا الارتباط ليس جماليًا فحسب، بل هو أيضًا قيم في سياق خلق الكون وترتيبه (رحمي والنساء، ٢٠٢٢).

تُشكّل الاستعارة المكنية في الآية الثامنة صورةً رمزيةً لعذاب جهنم. ومن خلال منح الجملادات صفة الحياة، يُعبّر علم البيان عن شدة التهديد الأخروي. وبالمثل، في الآيتين التاسعة عشرة والثانية والعشرين، هناك تحول في المعنى من قوانين الفيزياء إلى اللاهوت، ومن أفعال البشر إلى الهداية الإلهية. هاتان الآيتان ليستا مثالين على المجاز العقلي والتسييح فحسب، بل تُظهران أيضًا الوظيفة التعليمية لعلم البيان في تشكيل الوعي الروحي والفهم الوجودي (مصدر، ٢٠١٩).

في سياق منهجيات التفسير المعاصرة، لا يُنظر إلى علم البيان كأداة لغوية فحسب، بل كمنهج تأويلي متكامل أيضًا. وقد طوّر مفسرون مثل الزمخشري والرازي تفسيرات تجعل من علم البيان الوسيلة الرئيسية لتحليل جمال رسالة الوحي وعمقها. وهذا يُظهر أن علم البيان ليس مجرد أداة لجمال اللفظ، بل هو أساس معرفي لفهم بنية معنى القرآن الكريم بطريقة فلسفية وسياقية أكثر (شهاب، ٢٠٢١).

علاوة على ذلك، يُثبت استخدام علم البيان في التحليل السيميائي لآيات القرآن الكريم أن رسالة الله سبحانه وتعالى ليست خطية وحرفية، بل متعددة التفسيرات والمستويات. وبالتالي، يُمكن اعتبار علم البيان مدخلًا لتفسير القرآن الكريم الذي يتطلب حساسية لغوية، ووضوحًا في التفكير، واتساعًا روحيًا. وهذا يُبرز الحاجة إلى إحياء منهج البيان في مناهج التفسير ودراسات القرآن الكريم الحديثة، بما يُمكن من مواجهة تحديات العصر المتزايدة التعقيد.

وهكذا، لعلم البيان دورٌ متعدد الجوانب: وجودي في تعريف الكيانات، ومعرفي في نقل المعرفة، وأكسيولوجي في تعليم القيم. يكشف استكشاف آيات سورة الملك من خلال منهج البيان أن كل اختيار للكلمات ينطوي على بناء مدروس وعميق للمعنى. لذا، فإن فهم علم البيان لا يُثري التفسير فحسب، بل يُرسي أساسًا لتأويل أكثر تكاملًا وفلسفة للقرآن الكريم.

عند دراسة علم البيان من منظور التناص، نجد أنه ليس علمًا مستقلًا، بل هو متشابكٌ بشكل وثيق مع فروع علمية أخرى، مثل علم المعاني وعلم البديع. تُشكّل هذه العلوم الثلاثة ثلاثيةً في دراسة البلاغة العربية. ففي شرح الزمخشري لـ "الكشاف"، يُستخدم علم البيان لكشف عمق المعنى، بينما يُظهر علم المعاني تباينات في التراكيب النحوية لإيصال معانٍ مختلفة، ويُستخدم علم البديع لإبراز جمال الأدب. ويكمن سرّ تكامل هذه العلوم الثلاثة في فهم القرآن الكريم ليس فقط ككتاب هداية، بل أيضًا كعملٍ أدبيٍّ سماويٍّ فريد (قاسم، ٢٠٢٤).

لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ يُظهر النهج الفلسفي لعلم البيان أن بنية التفكير البلاغي في القرآن الكريم منهجية ومنطقية. من الناحية الوجودية، يُشكك علم البيان في وجود معنى لا يقتصر على الألفاظ الحرفية. ومن الناحية المعرفية، يُقدم سبيلًا لفهم النص بأسلوب تفسيري يحترم السياق. ومن الناحية القيمية، يُعلم علم البيان الناس استيعاب القيم، لا المعلومات فقط. لذلك، فإن لعلم البيان، كأداة علمية، دوراً حيوياً في تحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والفكرية والجمالية في فهم الوحي.

في المشهد المعاصر، يُمكن لمنهج علم البيان أن يُسهم أيضًا في صياغة الأخلاقيات اللغوية في الخطاب الاجتماعي والسياسي. فمع شيوع خطاب الكراهية، واختزال المعنى، وتحريف الرسائل بشكل متزايد، يُعلم منهج البيان أهمية دقة المعنى والمسؤولية في التواصل. كما يُمكن للآيات المُدرسة في سورة الملك أن تُشكّل أساسًا لبناء خطاب حول اللياقة العامة قائم على الوحي: فكل كلمة لها تأثير، وكل خطاب له عواقب روحية.

في هذا الصدد، من المهم التأكيد على أن استخدام علم البيان في قراءة القرآن الكريم ليس حكرًا على الأكاديميين. فهذا العلم مهم لكل من يرغب في استكشاف معاني القرآن الكريم، سواء في سياق الوعظ أو التعليم أو التأمل الشخصي. ويُعد التكامل بين المعرفة اللغوية والوعي الروحي ومهارات التفسير أساسًا لفهم النص المقدس. لذلك، من المهم إدماج علم البيان في المناهج الإسلامية، سواء في المدارس الداخلية الإسلامية أو المدارس الدينية أو مؤسسات التعليم العالي.

وكخاتمة جزئية لهذه المناقشة، يُمثل علم البيان جسرًا بين الألفاظ والمعنى، وبين النص والسياق، وبين جمال اللغة وصدق الرسالة. ففي القرآن الكريم، لا تُختار كلمة واحدة صدفة؛ فكل كلمة تحمل في طياتها معنىً مُوجّهًا ومُنظّمًا. لذا، فإن تجاهل علم البيان في دراسة التفسير هو بمثابة غصّ الطرف عن الأبعاد الجمالية والبلاغية للوحي نفسه. لذا، يجب مواصلة تطوير علم البيان كمنهج متكامل لا يقتصر على شرح النص فحسب، بل يُشكّل أيضًا طريقة التفكير والشعور والتصرف وفقًا للقيم الإلهية.

#### خاتمة

من خلال البحث الشامل الذي قُدّم، يُمكن الاستنتاج أن علم البيان يُمثل محورًا سيميائيًا لا غنى عنه في جدلية تفسير القرآن الكريم. فهو ليس مجرد أداة لغوية تُحسن نطق الكلمات، بل هو وسيطٌ متعالٍ يربط بين الجوهر الإلهي والوعي الإنساني. بفضل قدرته على كشف طبقات المعنى الباطني من خلال رمزية اللغة والتشبيه والاستعارة والكناية، يُمثل علم البيان مُحقّقًا معرفيًا يُتيح قراءةً متعددة الأبعاد وسياقية للقرآن الكريم. على مرّ تاريخ العلم الإسلامي، أثبت علم البيان قدرته كأداة تأويلية مرنة، قادرة على مُحاورَةِ العصر دون أن تفقد سلطنتها. وجوده يُفنّد النزعة الحرفية التي تُجمّد النص، ويُتيح أفقًا روحيًا أوسع للمعنى. لذا، فإن علم البيان ليس مُلحقًا في المجال الأكاديمي فحسب، بل أيضًا في ممارسة الوعظ، وتعزيز الهوية الثقافية، وإحياء روحانية الناس. فهو بمثابة نَفْسٍ يُحيي رسائل الوحي، فيتردد صداها في النفس البشرية، متجاوزًا حواجز المكان والزمان. في هذا السياق، فإن تعزيز دور علم البيان في التفسير ليس خيارًا اختياريًا، بل ضرورة منهجية يجب النضال من أجلها باستمرار.

#### فهرس

عبد الرحمن، ر.، صبر الدين، إ.، وهرديانتي، م. (٢٠٢٤). فهم مفهوم التسييح في القرآن الكريم: من منظور علماء التفسير وآثاره على تطوير مواد تعليم علوم البيان. تسوقية: مجلة تعليم اللغة العربية وآدابها، ٦(١)، ٢١٠-٢٢٥. علي، م.ك. (2023). التسييح في علم البلاغة: البلاغة. المعلقات، 2(2)، 15-25. النبيل، م.س.، وسري الدين، م. (2024). تحليل علم البيان في سير البهتسو عن السعادة لنارك الملائكة. كلامنا: مجلة تعليم اللغة العربية واللغة العربية، 5(2)، 201-219. باهتار، أي آر (2010). جوانب علم البيان في قصيدة البردة وآثارها على تعلم البلاغة (أطروحة دكتوراه، جامعة التربية الإندونيسية).

Budiarti, M., Wartiman, W., & Agus, A. (2021). الميسرة البلاغة – علمو بيان (النظرية والتطبيق). إرهامني، إ.، وخوليسين، ك. (٢٠٢٠). آثار علم البيان في الكتب الجامعية: رسم خريطة لوجود علم البيان. وقائع المؤتمر الوطني للغة العربية، ٦(٦)، ٧٧٧-٧٩٤.

إسماعيل، و. ب. (2023). اختيار مؤشرات لنموذج الخريطة الذهنية المركبة (MPMK) لفهم علوم البيان. المجلة الإلكترونية للغة واللغويات 101-110، 5(2)، (e-JBL).

- جيدان، ف. (٢٠٢٢). تطور علم البلاغة. امتياز: مجلة العلوم الإسلامية، ٦(٢)، ١٤٢-١٥٠.
- جولياني، ر. (٢٠٢٠). أسلوب علم البيان وأسراره في رواية "الحمار الحكيم" لتوفيق الحكيم.
- كارلينا، إي. (٢٠١٧). مبادئ تعاليم الكتب المقدسة وتعاليم القرني: دراسة علم القراءة (أطروحة دكتوراه، جامعة سونان جونونج دجاتي باندونغ).
- مهدي، م.، ريفياناندا، إم إيه، وجايا، مينشيغن، ورضوان، ف. (2025). مجاز في حرف الملك: دراسة في علم البيان. مجلة المثلة، 1(1)، 59-51.
- مصدر، ميشيغان (2019). تطوير مواد تعليمية للعلوم باستخدام التحليل التقابلي في برنامج تعليم اللغة العربية بكلية علوم القرآن الكريم. ظاهرة، 11(1)، 46-31.
- ماتين، أ. (2017). التحيات المرسلة لرواية الزلل الأسود لنزيب كيلاني: تحليل لعلم البيان (أطروحة دكتوراه، UIN Sunan Gunung Djati Bandung).
- الرمضاني، مف (2022). مسبحة الصلاة في رواية حكايات الزهراء: دراسة في علم البيان (أطروحة دكتوراه، UIN Sunan Gunung Djati Bandung).
- ريببكا ريستي، ب. (2023). تسبيح بليغ في قرآن سورة النبأ (دراسة في علم البيان) (أطروحة دكتوراه، جامعة فاطموا تي سوكارنو بنجكولو).
- روهاندا، ر.، وكودير، أ. (2025). علم البيان: منظور فلسفة العلوم. مجلة العلوم التربوية والتعليمية، 7(1).
- سوريانينجسيه، أي، وهيندروانتو، ه. (2017). علم البلاغة: التسبيح في مخطوطة «سورة فا» «بياء ن الماجة والتسبيح» والكناية». مجلة الأزهر الإندونيسية، سلسلة العلوم الإنسانية، 4(1)، 1-10.
- سياتيبي، أ. (2016). البلاغة 1 (علم البيان): المدخل إلى فهم لغة القرآن. مركز ترجمة.
- يوسف، إي. بي.، وعتيقه، أ. ن. (2024). التسبيح والمجاز في مولد سمث الدرر للحبيب علي بن محمد بن حسين الحبسي وتطبيقهما في تعلم علم البيان. مجلة المزايا: تعليم اللغة العربية، 2(1)، 40-14.